

أسباب تحقيق حلاوة الإيمان

قوله صلى الله عليه وسلم: { ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار } وفي رواية: { لا يجد العبد طعم الإيمان حتى .. إلى آخره. أخبرني هذا الحديث بأن هذه الثلاثة يجد بها العبد حلاوة الإيمان، أو يجد طعم الإيمان. الإيمان هو أصل العقيدة، يعني عقيدة الإنسان الذي هو إيمانه بالله تعالى ربًا وخالقًا ومعبودًا، وإيمانه بما أخبر الله تعالى به من الأمور الغيبية، وإيمانه بشرع الله عز وجل، وإيمانه بأمره ونهيه ووعده ووعدته وشوابه وعقابه ويقضائه وقدره، وإيمانه بكتبه ورسوله، وإيمانه بالبعث بعد الموت، الإيمان يعم ذلك. وكذلك أيضًا آثار هذا الإيمان الذي هو الأعمال الصالحة. أخبر صلى الله عليه وسلم بأن لهذا الإيمان طعمًا وله حلاوة، والطعم هو الذي يجده الإنسان في فمه. إذا أكل شيئًا حاليًا أحس بطعمه، أو غير حال أحس بطعمه، ولكن الرواية الأولى تبين أن هذا الطعم طعم لذيذ؛ ولذلك قال حلاوة الإيمان أي لذته، وقد اختلف العلماء هل هذه الحلاوة حلاوة حسية أو معنوية؟ ورجح كثير منهم أنها حسية، واستدلوا على ذلك بآثارها عند المؤمنين حقا أنها تظهر عليهم آثار هذه الحلاوة، ويجدون للعبادات لذة لا يجدها غيرهم، فيتلذذون بالصلاة ويتلذذون بالسهر في عبادة الله، فثبت قول النبي صلى الله عليه وسلم: { جعلت قرة عيني في الصلاة } وقوله: { أرحنا يا بلال بالصلاة } فدل على أن للأعمال الصالحة راحة البدن، وأن لها لذة وطعمًا. وكذلك أيضًا ذكروا عن بعض الصالحين أنه قال كابدت قيام الليل عشرين سنة، وتلذذت به عشرين سنة. أي أنه في العشرين الأولى كان يجد مشقة، وفي العشرين سنة الأخيرة يجد لقيام الليل لذة أشد من لذات الطعام والشراب؛ فدل على أن هناك طعمًا يحسه وإن لم يكن في فمه، بل هو في جميع بدنه، لذة وحلاوة للإيمان. وكذلك أيضًا ورد عن بعض السلف أنه قال: إن في الدنيا جنة من لم يذوقها لم يذوق جنة الآخرة. هذه الجنة ليست هي البساتين والخضار والفواكه والنعم والمأكولات الشهية ونحوها، ولكنها التلذذ بطاعة الله عز وجل. ويقول آخر منهم: إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا، أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب. تلك الأوقات هي تلذذه بذكر الله وعبادته وعبادته القولية والبدنية تلذذه بدعائه، تلذذه بقراءة كتابه، فيجد طعم ذلك في قلبه، كما يجد الأكل طعم الأكل في فمه، فهذا أمثله كثيرة. وذكروا أن ابن آدم كان من أولاد الملوك، ثم إنه زهد في ملك أبياته وأهله وترك الدنيا لأهلها، وكان يأكل كل يوم رغيفًا من خبز يابس ويشرب عليه ماء من ماء البحر أو شبيهًا بماء البحر، ويقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. أي لو يعلمون تلذذنا بهذه الطاعة وبهذه العبادة لزاحمونا في ذلك، فهذا دليل على أن للعبادات لذة وطعمًا يجده الإنسان أذ من العسل ونحوه. كان سعيد بن المسيب رحمه الله إذا دخل بيته سكن أهله لا يرفعون الأصوات، فإذا كبر يصلي رفعوا أصواتهم وتكلموا، لماذا؟ لأنه بإقباله على صلاته وبانشغاله بها لا يسمع صوت من حوله ولو رفعوا الأصوات. فقوله وجد بهن حلاوة الإيمان؛ يعني لذة الإيمان وطعمه. الخصلة الأولى: { أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما } أي من سائر الأفراد، محبة الله ومحبة رسوله أحب إلي المؤمن الذي يجد لذة الإيمان من نفسه ومن ولده ومن والده ومن أمواله ومن دنياه ومن لذاته ومن أملاكه ومن شهوات نفسه كلها، يقدم محبة الله تعالى ومحبة رسوله على كل شيء من الدنيا ومما عليها. وإذا كان كذلك فإنه يجد للإيمان حلاوة وإذا كان كذلك فإنه يجد للأعمال لذة، وإذا كان كذلك فإنه يستكثر من الأعمال الصالحة، ويتلذذ بالصلوات وبالصدقات وبالصيام والأعمال الشاقة ولو كان فيها مشقة على نفسه؛ وما ذاك إلا أنها محبوبة لسببه محبوبة لربه، فيكابد المشقات ويجدها سهلة لذية عنده، كما كانت سهلة ولذية على أولياء الله تعالى. الصلاة مثلًا في الليل ثقيلة على الكثير من النفوس ولكنها لذية عند الذين يحبون مناجاة ربهم، وكذلك أيضًا إسباغ الوضوء في أوقات الشتاء وفي أوقات شدة البرد فتقيلة ولكنها لذية عند أهل الإيمان الصادق، فيجدون لها لذة وحلاوة، وكذلك أيضًا بقية الأعمال الصالحة، فإذا كان ذلك كذلك؛ فإنه صادق في أنه يحب الله تعالى ويحب رسوله. وقد جعل الله تعالى لمحبهته ومحبة رسوله علامة واضحة، ذكر أن اليهود قالوا: { تَخْرُجُ آتَاءَ اللَّهِ وَاجِبًا }؛ فامتنعهم الله؛ أنزل آية في سورة آل عمران وهي قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } تسمى هذه الآية آية المحبة التي فيها امتحان كل من يدعي محبة الله تعالى أن يمتحن، ويقال له: إن لمحبة الله علامة وهي اتباعك لرسوله صلى الله عليه وسلم فإن اتبعته في كل دقيق وجليل فأنت صادق، وإن لم تتبعه فإن دعواك كاذبة... وذكر عن بعض السلف أنه قال: من ادعى محبة الله ولم يوافقها فدعواه باطله أي هو كذاب، إذا كان يقول: إني أحب الله ومع ذلك لا يوافقها ولا يفعل ما يأمره الله تعالى به؛ فإنه كاذب في دعواه. وكذلك أيضًا من علامة محبة الله تعالى كراهة ما نهى عنه من المحرمات، ولو كانت لذية عند النفس. سئل بعض السلف قيل: له متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يبغضه أمر عندك من الصبر، إذا كنت كذلك فأنت صادق في أنك تحب الله. إذا كانت المعاصي مكرهة عندك، أمرٌ عندك من الصبر ولو كانت مستلذة. الخمر مثلًا شراب لذية عند النفوس ولكن مر زعاف عند أولياء الله تعالى، الزنا تشبهه النفس وتهواه ولكنه كرهه عند أهل الإيمان ينفرون منه ويستبشعونه ويستقلونه ويكون عندهم أمر من الصبر. وكذلك شهوات النفس كالغناء واللهو وما أشبه ذلك، إذا كان الله تعالى حرما؛ فإن المؤمن يكرهها وتكون عنده ثقيلة ولو كانت النفس تستلذ بها. فإذا كان كذلك فإنه يكون صادقًا في أنه يحب الله ويحب نبيه صلى الله عليه وسلم. يقول ابن القيم في نونية: { أحب أعداء الحبيب وتدعي حبا له ما ذاك في إمكان يقول: كيف تحب أعداء الله، وتقول مع ذلك إني أحب الله؟ هذا ليس بصحيح ليس حبا صادقًا، ويقول أيضًا: حب القرآن وحب الحان الغنا في قلب عبد ليسا يجتمعان من أحب الله تعالى فإنه يكره أعداء الله، من أحب طاعة الله فإنه يكره معصية الله، من أحب الله فإنه يطيعه فيلتزم بطاعته. فأما إذا كان يعصي الله فإنه ليس بصادق في أنه يحب الله، يقول بعضهم: تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى في الفعال بديع لو كان حبا صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع هكذا هو الواقع إن المحب لمن يحب مطيع، فأما الذي يحب الله ثم مع ذلك يعصيه؛ فإنه ليس بصادق. والذي يحب النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لا يتبعه ليس بصادق في هذه المحبة، فاللمحبة هذه العلامات الظاهرة. ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المحبة آثارًا أيضًا ومكملات وهي الخصلتان الباقيتان فإنهما مكملتان لمحبة الله ورسوله: { أن يحب المرء لا يحبه إلا لله } يعني يحب الإنسان لا يحبه إلا لله، واجب على المؤمنين التحاب في ذات الله تعالى، فيحب بعضهم بعضًا لله وفي ذات الله تعالى. ومن كان كذلك فإنه يعتبر محبًا لله؛ وهو أن من أحب الله أحب أوليائه، إذا أحببت الله تعالى أحببت كل مؤمن وأحببت كل مسلم صادق في إسلامه، من أحب الله تعالى أحب أوليائه، هذه أيضًا من علامات المحبة؛ بمعنى تحبهم لأن الله تعالى يحبهم، تحبهم لأنهم يحبون الله تعالى، فسر بعضهم... أسئلة س: .. فضيلة الشيخ ينتشر بين .. الآباء من يأتي بانه إلى المسجد ومنهم من يقول: إنه في الرابعة أو الخامسة من عمره ... يلعب في الصف ... فما توجيهكم حفظكم الله؟ نرى أن هذا ليس بجائر؛ ورد حديث في السنن: { جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم }؛ يعني السفهاء لا شك أنه في السنة الرابعة أو الثالثة -نحوها- لا يعقل، ولا يتأدب، وأنه يعبت كثيرا ويتقدم ويتأخر ويلتفت ويتكلم، ويتحرك حركة تشوش على من حوله. أما إذا كان مميزا في السنة السابعة أو ما بعدها يقبل التعليم، فإنه مأمور بالإتيان به وتعليمه. س: ما عقاب من يتهاون بصلاة الفجر ولا يصلها في المسجد أرجو التعليق على ذلك؟ صلاة الفجر أصبحت ثقيلة على كثير من الناس، فالواجب على جيران من هذا فعلة أن ينصحوه ويخوفوه ويحذروه من ذلك، فورد أنها أثقل صلاة على المنافقين، وورد في فضلها كثير؛ فالواجب على الإنسان أن يهتم بالصلاة ويستعد لها، وإذا كان ثقیل النوم يوكل من يوقظه للصلاة من جيرانه ولو باتصاله بالهاتف أو ما أشبه ذلك حتى يأتي إلى الصلاة نشيطا، ويفعل الأسباب التي تعينه عليها. س: جزاكم الله خيرا. فضيلة الشيخ هنا دعوة من أهالي .. الشمالية ... مندوب الدعوة .. فيها فهم يدعونكم لإلقاء محاضرة مباركة في مسجد أبي يحيى ... وجزاكم الله خير الجزاء. نعتذر هذه المرة لقد قسمنا أوقاتنا على كثير من القرى التي طلبت أهلها محاضرات فلعلهم يعيدرونا هذه المرة، يجدون إن شاء الله من المشائخ الآخرين من يقوم بها. جزاكم الله خيرا. نشكر فضيلة الشيخ.